هل صحيح أن أمير المسلمين أو الخليفة، يجب أن يكـون قرشـياً، وهل الخلفاء العثمانيون مذنبون لأنهم لم يولوا قرشياً؟

الإجابــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللـه وعلى آلـه وصـحبه، أما بعـد:

فجماهير أهل العلم على أن خليفة المسلمين يجب أن يكـون من قـريش، بـل حكى غـير واحـد من أهـل العلم الإجمـاع على ذلـك، لقوله صلى الله عليه وسلم: الأئمة من قريش.رواه أحمد، وقوله صـلى اللـه عليـه وسـلم: النـاس تبـع لقـريش في هـذا الشـأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم. متفق عليه.

قال النـووي في شـرحه لصـحيح مسـلم عنـد هـذا الحـديث: هـذا الحديث وأشباهه دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقــريش، لا يجــوز عقـدها لأحـد غـيرهم، وعلى هـذا انعقـد الإجمـاع في زمن الصحابة فكذلك من بعدهم. انتهى.

وقـــال المـــاوردي في الأحكـــام الســـلطانية في شـــروط الخليفـة: (الشـرط السـابع): النسـب وهـو أن يكـون من قـريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه، ولا اعتبار بضرار حين شـذ فجوزها في جميع النـاس، لأن أبـا بكـر الصـديق رضـي اللـه عنـه احتج يوم السقيفة على الأنصار في دفعهم عن الخلافة لما بـايعوا سعد بن عبادة عليها بقول النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: الأئمـة من قريش. فأقلعوا عن التفـرد بهـا ورجعـوا عن المشـاركة فيهـا حين قالوا منا أمير ومنكم أمـير تسـليما لروايتـه وتصـديقاً لخـبره ورضوا بقوله: نحن ا لأمراء وأنتم الوزراء. وقال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: قـدموا قريشـاً ولا تَقـدَّموها. وليس مـع هـذا النص المسلم شبهة لمنازع فيه ولا قول لمخالف له. انتهى.

أما أمراء المسلمين الذين ينوبـون عن الخليفـة فلا يشـترط فيهم ذلك فقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده أمراء غير قرشيين كما هـو مشـهور معلـوم، ولا يـأثم العثمـانيون بعدم نصبهم خليفة غير قرشي إذا كان قـد منعهم من ذلـك مـانع معتبر شرعاً كخشـية الفتنـة والتقاتـل بين المسـلمين لعـدم رضـا فريــق منهم بــه، ولعــل المناســب هنــا أن نتلمس الحكمــة في اشـتراط أن يكـون الخليفـة من قـريش، فالحكمـة في ذلـك كمـا ذكرها الدكتور عبد الله بن عمـر بن سـليمان الـدميجي في كتابـه

الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، حيث قـال: الحكمـة - فيما أرى واللـه أعلم- أن قريشـاً هي أفضـل قبائـل العـرب بنص الحديث عن النبي صلى الله عليه وسـلم، فعن واثلـة بن الأسـقع قال: قال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم: إن اللـه اصـطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قـريش بـني هاشـم، واصـطفاني من بني هاشم. رواه مسلم.

فالعرب في الأجناس وقـريش في العـرب مظنـة أن يكـون فيهم الخير أعظم مما يوجد في غيرهم، ولهذا كان منهم أشـرف خلـق الله تعالى صلى الله عليه وسلم الذي لا يماثله أحـد في قـريش، فضـلاً عن وجـوده في سـائر العـرب وغـير العـرب، وكـان منهم الخلفاء والراشدون، وسائر العشرة المبشرين بالجنة رضـي اللـه عنهم، وغيرهم ممن لا يوجد لـه نظـير في العـرب وغـير العـرب، وكان في العرب السابقون الأولـون ممن لا يوجـد لهم نظـير في سائر الأجناس، فلا بد أن يوجـد في الصـنف الأفضـل مـا لا يوجـد مثله في المفضول، فمظنة وجـود الفضـلاء في قـريش أكـثر من مظنة وجودهم في غيرها، ولم يخص النبي صلى الله عليه وسـلم بني هاشـم دون غـيرهم من قـريش وهم أفضـل بطـون قـريش، لأنها بطن من قبيلة فعـددها محصـور وقليـل، فلا يلـزم أن يكـون الفضلاء فيها، كما أن أفضـل النـاس بعـد النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم لم يكن فيهم، وإنما في بني تيم وهو أبو بكر، ثم عمــر من بني عدي ثم عثمان من بني أمية ثم علي من بني هاشم.

ومما يدل على فضل العرب على غـيرهم قـول الإمـام أحمـد في رواية الإصطخري عند ذكر عقيدته: ويعرف للعرب حقهـا وفضـلها وسابقتها ويحبهم لحديث: حبهم إيمان، وبغضـهم نفـاق. ولا يقـول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقـرون لهم بفضل، فإن لهم بـدعاً ونفاقـاً وخلافـاً. طبقـات الحنابلـة لابن أبي يعلى (1/30).

ومن الحكمة أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قد مـيزهم عن غـيرهم من سائر القبائل بقوة النبل وسداد الرأي، وهمـا صـفتان هامتـان وضـروريتان للإمـام، يـدل على ذلـك الحـديث الـذي رواه أحمـد بسنده عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسـول اللـه صلى الله عليـه وسـلم: إن للقرشـي مثلي قـوة الرجـل من غـير قريش. فقيل للزهري: ما عني بذلك؟ قال: نبل الرأي رواه أحمد في مسنده، قال عنه السبكي: إسـناده صـحيح. كمـا في طبقـات الشافعية الكبرى (1/191).

والحـديث أخرجـه الحـاكم في المسـتدرك وصـححه على شـرط البخاري ومسلم وأقره الذهبي قد يكون هذا السبب في تخصيص قريش بالإمامة وقد يكون غيره ولا أثر لعدم معرفتنا الحكمـة من ذلـك على الحكم العـام والعمـل بـه وهـو اشـتراط القرشـية في المرشح للإمامة.انتهى بتصرف يسير جداً.

والله أعلم.